بسم الله الرحمن الرحيم
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

الصادقين

الإسلام محتاج الى جميع أبنائه

السبت ٢٩ صفر ١٤٤٢ هـ / ١٧ تشرين الاول ٢٠٢٠ م العدد ٢٠٦

نشرة تصدر عن المكتب الاعلامي متخصصة بنقل أحاديث وخطابات وفتاوي وأخبار سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾

الأنس بالإمام الحسين (عليه السلام) يشغل الذين اتقوا عن دخّول الجنة

المرحوم الحاج ابو ذر مثال الخير والمعروف

رحل عنا الليلة الماضية الرجل العامل الصبور المثابر المضحي الخدوم صاحب القلب الطيب الحاج نبيل عباس المعروف بـ(ابي ذر) رحمه الله تعالى وأكرم مثواه، وكان رحيله بصمت كما كان عمله طيلة حياته فلم يكن يتحدث عن إنجازاته الكثيرة والمتواصلة طيلة عشرات السنين بل كان عمله هو الذي يتحدث عنه حتى ترك بصمة مباركة في بقاع كثيرة من خلال إنشاء العشرات من الجوامع والحسينيات والمدارس الدينية ودور السكن لطلبة العلوم الدينية والعوائل المتعففة وتزويج ما لا يحصى كثرة من الشباب ومساعدة المحتاجين وإطعامهم وكسوتهم ومعالجة مرضاهم حتى صار ذكره الطيب على كل لسان، ويشهد بذلك كل من عرفه وخالطه ولو لفترة قصيرة.

كان قلبه مفعماً بحب أهل البيت (عليهم السلام) وولائهم متفانياً في إقامة شعائرهم والخدمة في مواكبهم مواظباً على زيارة الامام الحسين (عليه السلام) لیالي الجمع وزيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) منذ أيام البطش الصدامي، ولم يتوقف حتى في ظرف وباء كورونا والحظر.

كان منذ عرفته في ثمانينيات القرن الماضي رافضاً للظلم ثائراً قريباً من المجاميع الجهادية ضد نظام صدام في ذروة طغيانه وجبروته كمجموعة الشهيد حسين علوان اليعقوبي (استشهد هو ورفاقه سنة ١٩٨٨) حيث كان يقوم لهم ببعض الأمور اللوجستية التي تسهّل حركة المجاهدين وتخفي أسمائهم الحقيقية.

وفي التسعينيات حيث الحصار الجائر الذي أنهك الشعب المظلوم، كان دائب الحركة في نقل المساعدات العينية والنقدية على دراجته النارية وتوزيعها على المحتاجين، يعمل بكل حب واخلاص وهو فرح بتوفيق الله تعالى لهذه الأعمال الخيرية، كما كان باراً بوالدته ويخدمها في سائر شؤونها بكل سرور.

إنه خير قدوة وأسوة لمن يريد حرث الآخرة ويسارع إلى الخيرات ونيل المكرمات، وكان زاهداً في الدنيا لم تمتدّ عينه إلى زخارفها، مؤثراً غيره على نفسه بما في يده.

وعاجله الموت وهو يقوم بإنشاء حوالي ٣٠٠ دار لطلبة العلوم الدينية ضمن مدينة العلم الكبرى في النجف الأشرف.

ولو كان الموت يقنع بالبديل لافتديناه منه بما شاء ليستمر في هذه الأعمال المباركة ولكن الله تعالى اختاره لجواره فقبضه اليه راضياً مرضياً.

جاورت أعدائي وجاور ربه شتان بين جواره وجواري

لقد زاد حزني وألمي أنه مضى من غير أن يودع بعضنا بعضاً ونستذكر هذه السنين التي تجاوزت الثلاثين وحفلت بالمآثر، فما كنت أحسب أن فايروس كورونا سينشب مخالبه فيه بهذه الكيفية وهذه السرعة ولا سلوة لي الا الدموع التي أجريها من عينين قريحتين وقلب مكمد محزون.

أسأل الله تعالى أن يحسن وفادته وينزله منزلاً مباركاً مع أوليائه الطاهرين ويخلف على أهله وذويه ومحبيه وأن يهيئ من يواصل أعماله في البر والاحسان.

محمد اليعقوبي
١١ صفر ١٤٤٢
٢٩ - ٩ - ٢٠٢٠

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (الضحى : ٩)

كافل اليتيم المادي والمعنوي مع رسول الله (ﷺ)(١)

اليتم يعني الانقطاع والانفراد فاليتيم في الانسان انقطاع الطفل الذي لم يبلغ عن أبيه حيث (لا يتم بعد احتلام)(٢)، أما في الحيوانات فهو الانقطاع عن الأم والجامع بينهما هو الانقطاع عن الكافل والرازق والمدبّر والمدير، وبلحاظ معنى التفرّد والانقطاع يكون معنى اللفظ واسعاً فيشمل كل متفرد منقطع النظير فيقال جوهرة يتيمة أي انقطعت مادتها التي أخرجت منها فلا يوجد مماثل لها وقصيدة يتيمة أي لا نظير لها وهكذا.

وبهذا المعنى فسرّت بعض الروايات يُتْم رسول الله (ﷺ) فقد روى العياشي في تفسيره عن الامام الرضا (عليه السلام) عند تفسير قوله تعالى لنبيه محمد (ﷺ) ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى : ٦] قال (فرداً لا مثل لك في المخلوقين فآوى الناس اليك)(٣).

وروى الشيخ الصدوق مثله عن ابن عباس(٤) وقال علي بن إبراهيم في تفسيره ((اليتيم الذي لا مثل له ولذا سميت الدرة اليتيمة لأنه لا مثل لها))(٥)، واذا صح صدور الحديث عن الإمام (عليه السلام) فلا كلام وإن كان فهماً من بعض الرواة فهو خلاف الظاهر خصوصاً بمقابلته مع تفريع آية ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى : ٩] عليها ويمكن قبول هذا المعنى إذا نُظر إلى الآية مستقلة عن الآية الأخرى.

واليتم حاله تثير الشفقة والتعاطف بشكل عاصف وتثير كوامن الإنسانية وهي محل لاختبار كرم الاخلاق من لؤمها وفي ذلك نسب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله:

ما ان تأوهت من شيء رزئت به … كما تأوهت للأطفال في الصغر
قد مات والدهم من كان يكفلهم … في النائبات وفي الأسفار والحضر

ونجد في القرآن الكريم التأكيدات المتكررة على الإحسان إلى الأيتام ورعايتهم مثل قوله تعالى ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ﴾ [البقرة : ١٧٧] وقوله تعالى ﴿قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى﴾ [البقرة : ٢١٥] وقول تعالى ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى﴾ [النساء : ٣٦] ويصل التأكيد إلى ذروته عندما قرنها الله تعالى بتوحيده وبأفضل الطاعات في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى﴾ [البقرة : ٨٣].

وحذرت الآيات الكريمة من عقوبة من تمتد يده إلى أموال اليتامى بغير حق مستغلاً ضعفهم وقلة حيلتهم وعدم معرفتهم بالأمور كقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء : ١٠] وجعل تبارك وتعالى عدم اكرام اليتيم من علامات ضعف الايمان قال تعالى ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [الفجر : ١٧] بل من علامات عدم الايمان بالآخرة قال تعالى ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ١-٢] لأنه لو كان يؤمن بالآخرة حقاً لسعى إليها سعيها ونصح المعصومون (عليهم السلام) بالابتعاد عن ولاية أموال الأيتام لمن لا يملك الخبرة ودقة النظر والقوة على تحمل هذه المسؤولية، روى الشيخ الطوسي بسنده عن أبي ذر (رضوان الله تعالى عليه) قال (ان النبي (ﷺ) قال: يا أبا ذر اني أحبّ لك ما أحبّ لنفسي اني أراك ضعيفاً فلا تأمّرن على ثنين ولا تولين مال يتيم)(٦).

فالآية الكريمة محل البحث موجهة الى رسول الله (ﷺ) ومنه إلى البشر كافة بأن يهتم باليتيم والحنو عليه وإيوائه والاعتناء به وان يتعامل معه بشفقة ورحمة وتواضع ولا يتسبب في إيلامه او عاجه وإذلاله وتسليط من لا يرحمه عليه، قال تعالى له ذلك بعد ان ذكره في الأيات السابقة بنعمة الله تعالى عليه (ﷺ) اذ كان يتيماً فآواه وكفله وأعزّه ونصره ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى : ٦] فأنه (ﷺ) فقد أباه وهو حمل في بطن أمه فكفله جده عبدالمطلب سيد البطحاء ثم توفيت أمه وهو في الشهر السادس من عمره على ما هو الصحيح، وتوفي جده وهو في الثامنة من عمره فكفله عمه أبو طالب ونصره وحماه من أذى قريش وغيرهم.

ولا شك في ان أكثر من يقدّر معاناة اليتيم وآلامه وانكساره وآثاره النفسية والاجتماعية هو من ذاق اليتم ومن هنا ارتبطت الآية بفاء التفريع والتسبيب ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ أي اجعل تذكرك لحالة اليتم التي عشتها دافعاً لإكرام اليتيم والإحسان اليه وعدم اشعاره بالنقص الذي تسبب بفقدان كافله ومعيله ومربّيه.

وقد أوصل (ﷺ) هذا التوجيه إلى الأمة بكل وضوح وأبلغ التعابير وأعلى الأثمان فقال (ﷺ): (من عال يتيماً حتى يستغني عنه أوجب الله عز وجل له بذلك الجنة كما أوجب الله لآكل مال اليتيم النار)(٧) وقال (ﷺ): (إن في الجنة داراً يقال لها: دار الفرح، لا يدخلها الا من فرّح يتامى المؤمنين)(٨) وقال (ﷺ): (إن اليتيم اذا بكى اهتز لبكائه عرش الرحمن، فيقول الله لملائكته يا ملائكتي من ابكى هذا اليتيم الذي غيّب أبوه في التراب، فتقول الملائكة: أنت أعلم، فيقول الله تعالى: يا ملائكتي فاني أشهدكم ان لمن أسكته وأرضاه أن أرضيه يوم القيامة)(٩).

التتمة في الصفحة الثالثة

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ (٣٣)

الأنس بالإمام الحسين (عليه السلام) يشغل الذين اتقوا عن دخّول الجنة

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر:٧٣).

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف أحوال هؤلاء عندما قرأ الآية قال: (قد أمن العذاب، وانقطع العتاب، وزُحزحوا عن النار، واطمأنت بهم الدار، ورضوا المثوى والقرار. الذين كانت أعمالهم في الدنيا زاكية، وأعينهم باكية، وكان ليلهم في دنياهم نهاراً، تخشّعاً واستغفاراً، وكان نهارهم ليلاً، توحشاً وانقطاعاً. فجعل الله لهم الجنة مآباً، والجزاء ثواباً، وكانوا أحق بها وأهلها، في ملك دائم، ونعيم قائم)(٣٤).

﴿سِيقَ﴾ فعل مبني للمجهول من (ساق) والسائق هم الملائكة، قال تعالى: ﴿وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (ق:٢١)، وفي المفردات: ((سوق الإبل جلبها وطردها يقال: سقته فانساق)) ومنه (لا أستطيع أن أسوق إلى نفسي خير ما أرجو) أي أجلب، وسمي مهر المرأة سياقاً لأن الأصل فيه كان من الإبل والغنم يسوقها الرجل إلى المرأة، وعُبّر عن النزع الأخير للإنسان في حال الاحتضار ((السَّوْق)) لأن روحه تُساق لتخرج من البدن، وفي قول أمير المؤمنين (عليه السلام) لعثمان: (فلا تكونن لمروان سيقة يسوقك حيث شاء) والسيقة الناقة التي ساقها العدو(٣٥).

والزُمر جمع (زمرة) وهي الجماعة فيُساقون على شكل جماعات، ربما ليأنس بعضهم ببعض ويعوّضهم عن الوحشة والخذلان الذي لاقوه في الدنيا بحيث أصبحوا معزولين عن أغلبية المجتمع من أهل الدنيا(٣٦).

ولأنهم على درجات متفاوتة وللجنة أبواب بحسب ما يناسب هذه الدرجات، كما أن أهل النار يساقون جماعات فقالت فيهم الآية السابقة: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً﴾ لأنهم على دركات متفاوتة ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ (الحجر : ٤٤)، وللجنة ثمانية أبواب روى أنس بن مالك عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: (إن للجنة ثمانية أبواب، وللنار سبعة أبواب)(٣٧)، وروي عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام): (إن للجنة ثمانية أبواب: باب يدخل منه النبيّون والصدّيقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون. وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومُحبّونا، وباب يدخل منه سائر المسلمين، ممّن شهد أن لا إله إلا الله، ولم يكن في قلبه مقدار ذرّة من بغضنا أهل البيت)(٣٨)، وروي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله: (أحسنوا الظن بالله تعالى واعلموا أن للجنة ثمانية أبواب عرض كل باب منها مسيرة أربعين سنة)(٣٩).

ولا يخفى ما في التعبير بالزمر من إيحاء إلى تأثير الانتماء إلى الجماعة في سلوك الفرد حتى أنه يُحشر إلى الجنة أو النار بلحاظ انتمائه، وقد ورد التأكيد في الروايات على أن معرفة الشخص تتم من خلال معرفة الجماعة التي ينتمي إليها فإن كانوا من أهل الصلاح كان منهم ظاهراً وإن كان من أهل الضلال كان منهم كذلك، ففي وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الحسن (عليه السلام): (قارن أهل الخير تكن منهم وباين أهل الشر تبن عنهم)(٤٠)، ومما روي عن نبي الله سليمان (عليه السلام) قوله: (لا تحكموا على رجل بشيء حتى تنظروا الى من يصاحب فإنما يعرف الرجل بأشكال أقرانه وينسب إلى أصحابه وأخدانه)(٤١).

والملفت أن زمر النار قال تعالى فيهم: ﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ بينما قال في أهل الجنة ﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ ولعل الاختلاف يُشعر بأن أبواب النار تكون مغلقة وتفتح عند وصول مستحقيها إليها، كأبواب السجون المغلقة على أهلها وتفتح عندما يصل محكوم بالسجن إلى الباب، أما الجنة فأبوابها مفتوحة قبل وصولهم إليها لأن الواو حالية أي أن المتقين جاؤوها حال كونها مفتوحة لانها تكون مهيئة لاستقبالهم بالزينة والتكريم.

ويثار هنا سؤال(٤٢): أن السوق بالنسبة لأهل النار معلوم لأنهم يرغمون على دخولها ويُدفعون إليها دفعاً، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ (الطور : ١٣) وقال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ (مريم : ٨٦)، لكن سوق الذين اتقوا غير واضح لأن المفروض أنهم يسرعون إليها مبادرين لأنها غاية مناهم وقد تحققت.

وبتعبير آخر قاله بعض المفسرين: ((استعمال لفظ (سوق) أثار التساؤل، كما لفت أنظار الكثير من المفسرين لأنّ هذا التعبير يستخدم في موارد يكون تنفيذ العمل فيها من دون أي اشتياق ورغبة في تنفيذه، ولذلك فإن هذه العبارة صحيحة بالنسبة لأهل جهنم، ولكن لمَ استعملت بشأن أهل الجنة الذين يتوجهون إلى الجنة بتلهف واشتياق))(٤٣).

ويمكن أن نذكر هنا عدة أجوبة:-

١- أن نسلّم بالإشكال ونقول إن اللفظ استُعمل من باب المشاكلة وهو من أساليب البديع المعروفة في الأدب العربي ومثاله قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة:١٩٤) والمقابلة بالمثل واستنقاذ الحق ليس عدواناً لكن أحد وجوه استعمال اللفظ أنه استُعمل من باب المشاكلة، وتوجد وجوه أخرى ذكرناها في قبس آخر.

٢- إن نفس مفردة (السوق) لا تتضمن معنى التعنيف والزجر والإهانة، ولعل صاحب المفردات شرحها بلحاظ سوق الإبل، وإن جهود أهل اللغة مبنية على الاستقراء وهو قد يكون ناقصاً كقوله في مادة حشر: ((إخراج الجماعة من مقرّهم وإزعاجهم عنها إلى الحرب وغيرها)) وهو لا يلائم قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً﴾ (مريم : ٨٥)؛ لذا عرّف ابن فارس في معجم مقاييس اللغة السوق بأنه ((حدو الشيء)) من دون أن يتضمن معنى الزجر أو التعنيف، وعرّفه الشيخ الطبرسي في مجمع البيان بأنه ((الحث على السير))(٤٤)، وقال بعض المحققين: ((حثّ على سير من خلف في ظاهر أو معنى فالسوق في الظاهر كما في ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ (فاطر:٩) والسوق المعنوي كما في ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ (القيامة : ٣٠) والسوق في ما وراء المادة، كما في ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً﴾ (الزمر:٧١) ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً﴾ (الزمر:٧٢)، فكما أن السحاب يساق إلى بلد ميت لحفظ النظم وتتميم اللطف والفضل، كذلك يساق الكافر إلى جهنم، ويساق المؤمن إلى الجنة، حفظاً للنظم وإجراء للعدل وإعطاء لما تقتضيه الطبائع، وتطلبه النفوس من لوازم الضلال والهداية ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ (القيامة:٣٦)))(٤٥).

وعلى هذا فيمكن استعمال لفظ السوق في المحبوب والمكروه ويُعرف ذلك من القرائن او من الغرض المقصود للسوق كلفظ البشرى الذي يُفهم منه الأمور المفرحة لكنه يستعمل أيضاً في الأمور السيئة ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (آل عمران: ٢١)، فقد يكون السوق للتكريم والتبجيل كمن يلتمس ضيفاً على بابه لدخول داره فيأخذ بكتفيه أو بيديه ويدخله الدار فهذا سوق للتكريم، وهو ما يقوم به بكل إخلاص وسرور أصحاب المواكب الحسينية في أيام زيارة الأربعين فيعزمون على المشاة أن يستريحوا في مواكبهم ويتناولوا من طعامهم وشرابهم.

فاشتياق المتقين إلى الجنة مهما كان عظيماً فإن الجنة وملائكتها وحورها مشتاقون إليهم أكثر ويتلهفون إلى لقائهم فيسوقونهم إليهم بتكريم وحث؛ لذا فسّر في مجمع البيان سوق الذين كفروا بأنهم ((يساقون سوقاً في عنف)) وقال عن سوق الذين اتقوا: ((أي يُساقون مكرمين)) ولم يجد في ذلك بأساً لأن الحال لم يستظهره من اللفظ وإنما من القرائن.

وبذلك يقترب معنى السوق من الدلالة والهداية، لذا يستعمل أهل المعرفة لبيان غرض القرآن أو الدين عموماً تعبير السوق نحو الكمال، والهداية قد تكون إلى الجنة وهو معروف وقد تكون إلى النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً * إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً﴾ (النساء: ١٦٨-١٦٩)، وقال تعالى: ﴿شَيْطَاناً مَّرِيداً * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (الحج : ٣-٤)، فسوق الذين اتقوا إلى الجنة لانهم يحتاجون من يهديهم إليها ويدلّهم عليها في تلك الأجواء الرهيبة في محشر القيامة.

٣- أو أن الذين اتقوا لمّا يُنادى بهم لدخول الجنة يقفون في المحشر لأمرٍ ما كالشفاعة في ذويهم ومحبيهم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ (الطور : ٢١) كالذي ورد في صحيحة محمد بن مسلم عن الإمام الصادق (عليه السلام) (إن السقط يجيء محبنطئاً على باب الجنة فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: لا، حتى يدخل أبواي الجنة قبلي)(٤٦).

أو للوفاء بالعهد مع إخوانهم المؤمنين كما في المؤاخاة المذكورة في أعمال يوم الغدير (أن لا أدخل الجنة إلا وأنت معي).

أو أنهم لتواضعهم وحسن أدبهم لا يريدون سبق إخوانهم في الدخول إلى الجنة فينتظرون الرفقة ليدخلوا زمراً وجماعات.

أو لكي يُعرف قدرهم كما في الحديث الوارد في شفاعة الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء (عليها السلام) أنها إذا (صارت عند باب الجنة تلتفت، فيقول الله: يا بنت حبيبي ما التفاتك وقد أمرت بك إلى جنتي؟ فتقول: يا رب أحببت أن يُعرف قدري في مثل هذا اليوم، فيقول الله: يا بنت حبيبي ارجعي فانظري من كان في قلبه حب لك أو لأحد من ذريتك خذي بيده فأدخليه الجنة، قال أبو جعفر (عليه السلام): والله يا جابر إنها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الردي، فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنة يلقي الله في قلوبهم أن يلتفتوا، فإذا التفتوا يقول الله: يا أحبائي ما التفاتكم وقد شفعت فيكم فاطمة بنت حبيبي؟ فيقولون: يا رب أحببنا أن يعرف قدرنا في مثل هذا اليوم، فيقول الله: يا أحبائي ارجعوا وانظروا من أحبكم لحب فاطمة، انظروا من أطعمكم لحب فاطمة، انظروا من كساكم لحب فاطمة، انظروا من سقاكم شربة في حب فاطمة، انظروا من ردّ عنكم غيبة في حب فاطمة فخذوا بيده وأدخلوه الجنة، قال أبو جعفر (عليه السلام): والله لا يبقى في الناس إلا شاك أو كافر أو منافق فإذا صاروا بين الطبقات نادوا كما قال الله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ فيقولون: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال أبو جعفر (عليه السلام): هيهات هيهات منعوا ما طلبوا ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾)(٤٧).

فلهذه الأسباب وغيرها يتأخرون عن دخول الجنة فتحثّهم الملائكة على دخولها وهو معنى السوق.

٤- إن الذين اتقوا لا تؤهلهم أعمالهم إلى دخول الجنة فلا تحركهم الحركة الكافية نحوها، ولكن لطف الله تعالى ورحمته تشملهم فتعطيهم زخماً وتسرّع بهم نحو الجنة فهم يحتاجون إلى (سوق) أيضاً ليدخلوا الجنة بلا تأخير، وهذا السوق ورد في (الذين اتقوا) وليس في (المتقين) وبينهما فرق فالذين اتقوا حالة قد يصحبها ما ينافيها كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (الأعراف : ٢٠١) والمتقون مقام تحولت التقوى عند أهله إلى صفة ثابتة ولازمة لذواتهم؛ لذا لم يستعمل معهم لفظ السوق، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾ (مريم : ٨٥-٨٦).

والخلاصة أن الذين اتقوا على درجات فبعضهم تكون حاله غير تامة فيحتاجون إلى تكميلها بسوق وبعضهم تكون عندهم تامة فلا يحتاجون.

٥- إن السوق ليس للذين اتقوا وإنما لذويهم ومتعلقيهم ومحبيهم وقد وعد الله تعالى أن يلحقهم بهم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الطور : ٢١) وهؤلاء يحتاجون إلى سوق لأن منزلتهم ليست بدرجة الذين اتقوا وإنما نسب السوق إلى الذين اتقوا لأنهم هم الملحوظون والمقصودون بالتكريم ودخول الجنة، فكل واحد منهم يمثّل جماعة ويعادل جماعة نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ (النحل:١٢٠) كما أن الملك حينما يدعى يساق معه رفاقه وحاشيته وينسب السوق إلى الجميع.

٦- إن الذين اتقوا لما يرون ما أعد الله لهم من الكرامة والفوز العظيم الذي يتحقق لهم تخرج أرواحهم من أبدانهم فرحاً وسروراً وشوقاً إلى المنعم المتفضل فتساق أرواحهم إلى أبدانهم ليدخلوا الجنة وهم كانوا هكذا في الدنيا كما وصفهم أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته في صفة المتقين (ولولا الأجل الذي كتب لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب، وخوفاً من العقاب)(٤٨).

٧- ما يُستفاد من بعض الروايات في فضل زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) ونصرته لإقامة دين الله تعالى ونشر ولاية أهل البيت (عليهم السلام) وهي من سيماء الذين اتقوا ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢)، فقد روى زرارة عن الإمام الباقر (عليه السلام) أو الصادق (عليه السلام) أنه قال: (يا زرارة إذا كان يوم القيامة جلس الحسين (عليه السلام) في ظل العرش وجمع الله زوّاره وشيعته ليبصروا من الكرامة والنصرة والبهجة والسرور إلى أمر لا يُعلم صفته إلا الله فيأتيهم رسل أزواجهم من الحور العين من الجنة فيقولون: إنا رسل أزواجكم إليكم يقلن: إنا قد اشتقناكم وأبطأتم عنا فيحملهم ما هم فيه من السرور والكرامة على أن يقولوا لرسلهن: سوف نجيئكم إن شاء الله)(٤٩).

وروي بشكل آخر أكثر تفصيلاً في كامل الزيارات عن زرارة وفيها (وما من عبد يُحشر إلا وعيناه باكية إلا الباكين على جدّي الحسين (عليه السلام)، فإنه يحشر وعينه قريرة، والبشارة تلقاه والسرور (بيّن) على وجهه، والخلق في الفزع وهم آمنون، والخلق يعرضون وهم حدّاث(٥٠) الحسين (عليه السلام) تحت العرش وفي ظل العرش، لا يخافون سوء يوم الحساب، يقال لهم: ادخلوا الجنة، فيأبون ويختارون مجلسه وحديثه، وإن الحور لترسل إليهم إنا قد اشتقناكم مع الولدان المخلدين فما يرفعون رؤوسهم إليهم لما يرون في مجلسهم من السرور والكرامة، وإن أعداءهم من بين مسحوب بناصيته إلى النار، ومن قائل: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾، وإنهم ليرون منزلهم، وما يقدرون أن يدنوا إليهم ولا يصلون إليهم، وإنَّ الملائكة لتأتيهم بالرّسالة من أزواجهم ومن خزّانهم على ما أُعطوا من الكرامة فيقولون: نأتيكم إن شاء الله، فيرجعون إلى أزواجهم بمقالاتهم، فيزدادون إليهم شوقاً إذا هم خبّروهم بما هم فيه من الكرامة وقربهم من الحسين (عليه السلام)، فيقولون: الحمد لله الّذي كفانا الفزع الأكبر، وأهوال القيامة، ونجّانا ممّا كنّا نخاف، ويؤتون بالمراكب والرّحال على النجائب، فيستوون عليها، وهم في الثناء على الله والحمد لله والصلاة على محمد وآله، حتى ينتهوا إلى منازلهم)(٥١)، فهؤلاء المتقون من زوار الإمام الحسين (عليه السلام) وشيعته والمقيمين لشعائره بإخلاص يفضلون النظر إليه ويتركون التفكير في المصير إلى الجنة وينشغلون به عنها فتأخذهم الملائكة برفق وتكريم إلى الجنة حينما أذن الله تعالى بذلك.

والرواية لم تطبق هذه الحالة على الآية الكريمة لذلك لم يلتفت اليها أصحاب التفاسير بالروايات كالبرهان ونور الثقلين إلا أن معناها واضح الانطباق على الآية.

---

(٣٣) كلمة ألقيت بتاريخ الجمعة ٢٩ محرم ١٤٤٢ الموافق ١٨ /٩/ ٢٠٢٠. (٣٤) نهج البلاغة: ٢ /١٣٢، شرح محمد عبده. (٣٥) مجمع البحرين: ٥-٦ / ١١٨، مادة (سوق).

(٣٦) بعكس زمر الكافرين وجماعتهم فهي تزيدهم وحشة بعضهم من بعض لأنهم كما قال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف: ٦٧)؛ لأنهم يذكّرونهم بصحبتهم السيئة وأفعالهم المشينة ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً﴾ (آل عمران:٣٠).

(٣٧) وسائل الشيعة: ٣ /٢٤٦، أبواب الدفن وما يناسبه، باب ٧٢، ح١١. عن أمالي الصدوق: ١٢٣. (٣٨) الخصال: ٤٠٦. (٣٩) بحار الأنوار: ٨ /١٣١، عن كتاب الخصال: ٢ /٣٩.

(٤٠) نهج البلاغة: ٣ /٥٢، بشرح الشيخ محمد عبده. (٤١) بحار الأنوار: ٧١ /١٨٨، عن كنز الفوائد لأبي الفتح محمد بن علي الكراجكي (ت ٤٤٩ هجـ): ٣٦.

(٤٢) أثاره سماحة الشيخ في إحدى جلساته اليومية في شوال / ١٤٣٩ الموافق تموز /٢٠١٨ لتحريك أذهان الجالسين وحثهم على التدبر في الآيات القرآنية ووعد سماحته بكتابة قبس في ذلك.

(٤٣) الأمثل في تفسير القرآن للشيخ مكارم الشيرازي: ١١ /٥٧٩. (٤٤) مجمع البيان للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي: ٨ /٢٢١. (٤٦) وسائل الشيعة: ٢٠ /١، كتاب النكاح، أبواب المقدمات، باب ١، ح٢.

(٤٥) التحقيق في كلمات القرآن الكريم للعلامة حسن المصطفوي: ٥/٣٣٠. (٤٧) بحار الأنوار: ٨ /٥٢ عن تفسير فرات الكوفي: ١١٣-١١٥. (٤٨) نهج البلاغة: ٢ /١٦١، خطبة ١٩٣، في وصف المتقين.

(٤٩) بحار الأنوار: ١٠١ /٧٥، ح٢٥ عن نوادر علي بن أسباط ضمن الأصول الستة عشر: ١٢٣. (٥٠) أي يتحدثون مع الامام (عليه السلام) (٥١) كامل الزيارة: ٨٤.

تتمة كافل اليتيم المادي والمعنوي مع رسول الله (ﷺ)

ويصل تكريم كافل اليتيم إلى ذروته بقوله (ﷺ): (من كفل يتيماً وكفل نفقته كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وقرن بين إصبعيه المسبّحة والوسطى)(١٠).

وفي رواية أخرى قال (ﷺ): (أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة إذا اتقى الله عز وجل) وأشار بالوسطى والتي تليها)(١١)، والحديث مشهور، وإن كان ينقل من دون جزئه الأخير الذي هو شرط قبول الأعمال، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] لكنه هنا شرط لكون كافل اليتيم في درجة رسول الله (ﷺ) وليس شرطاً لإعطاء الجزاء، لأن أعمال البر والإحسان يثاب عليها الإنسان ولو لم يقصد بها وجه الله تعالى.

وقد أكدت الآية الكريمة على الجانب المعنوي في رعاية الأيتام ﴿فَلَا تَقْهَرْ﴾ أي لا تذلّ اليتيم ولا تهنه ولا تستضعفه لأن حاجة اليتيم إلى الرعاية المعنوية أشدّ إذ قد يكون مكتفياً مادياً لأن أباه ترك له مالاً يعيش منه لكن الجانب المعنوي تبقى الحاجة إليه وقد حثت الأحاديث الشريفة عليه بأبسط صورة كالمروي عن النبي (ﷺ) قال (من مسح على رأس يتيم كان له بكل شعرة تمر على يده نور يوم القيامة)(١٢).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (ما من مؤمن ولا مؤمنة يضع يده على رأس يتيم ترحماً إلا كتب الله له بكل شعرة مرّت يده عليها حسنة)(١٣).

والروايات تدل على ان ذلك العطف والرحمة يعود بالفيض المعنوي على الماسح نفسه وليس فقط على اليتيم فقد قال (رسول الله (ﷺ) لرجل يشكو قسوة في قلبه: (أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك)(١٤).

إن كفالة الأيتام والإحسان اليهم ليس فقط عملاً شخصياً يتقرب به الانسان إلى الله تعالى وينال به الدرجات المذكورة وانما هي مسؤولية اجتماعية لأن استمرار شعور اليتيم بالنقص والحرمان وانه ادون من الآخرين وعدم معالجة هذه الحالة عنده تجعله عنصراً مأزوماً محتقناً ويتحيّن الفرص للانتقام من المجتمع الذي لم يعوضه عن هذا النقص وتتحول الايتام إلى قنابل موقوته في المجتمع ما لم يتم دمجهم كأفراد طبيعيين صالحين فيه، وهذا يعطي رسالة إطمئنان لكل الناس بأن حقوقهم وحقوق أبنائهم مكفولة بأحسن صورة حتى لو خلّفوا ايتاماً، وورد هذا المعنى في حديث عن الامام الرضا (عليه السلام) قال (حُرِّم أكل مال اليتيم ظلماً لعلل كثيرة من وجوه الفساد) إلى أن قال (عليه السلام) (فإذا أكل ماله فكأنه قد قتله وصيّره إلى الفقر والفاقة، مع ما في ذلك من طلب اليتيم بثأره إذا أدرك، ووقوع الشحناء والعداوة والبغضاء حتى يتفانوا)(١٥).

ولابد من الالتفات إلى المعنى الواسع لأكل مال اليتيم فإن عدم دفع الحقوق الشرعية إلى مستحقيها من مصاديق هذا العنوان ففي رواية صحيحة عن أبي بصير قال (قلت لأبي جعفر - الباقر (عليه السلام) - ما أيسر ما يدخل به العبد النار؟ قال: من أكل من مال اليتيم درهماً، ونحن اليتيم)(١٦).

وان ما يأكله السياسيون الفاسدون من أموال الشعب بغير حق هو أكل لمال اليتيم بالباطل لأن المسؤول في موقع الأبوّة والكفالة والرعاية للشعب انطلاقاً من الحديث النبوي الشريف (يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة)(١٧). فالشعب يتيم منقطع عن ثرواته ومصالحه وامكانياته المتنوعة التي اودعها الله تعالى في أرضه ومياهه واستأمن المسؤولين في السلطة عليها فإذا مدّ المسؤول يده اليها ولم يحسن وضعها في محلها فأنه أكل أموال هؤلاء الأيتام المنقطعين.

ان كل ما تقدم يلزمنا بإيجاد المؤسسات الخيرية والثقافية والتربوية والتعليمية التي تعنى برعاية الأيتام وكفالتهم وحسن تربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم حتى يكونوا افراداً صالحين في المجتمع بل ربما من قادته، وقد أورد الفقهاء مسائل شرعية مفصّلة لحفظ أموال الأيتام وادارتها بما فيه مصلحة الصغير ووضعت شروطاً لمن يتولى القيمومة على الصغار والتصرف بأموالهم.

وعلينا ان نتذكر أن أكمل الخلق وأشرفهم وهو نبينا محمد (ﷺ) كان يتيماً، وان فاطمة الزهراء (عليها السلام) سيدة نساء العالمين فقدت أمها وهي في الخامسة من عمرها وعاشت وحيدة مع أبيها رسول الله (ﷺ) وان من أكمل سيدات النساء عبر التاريخ وهي الصديقة مريم كانت يتيمة توفي أبوها وهي حمل في بطن أمها لكن الله تعالى هيأ لها كفيلاً من انبيائه العظام ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧] فحسن كفالة الايتام تصنع منهم عناصر مثمرة مباركة في المجتمع.

وكان لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) سلوك متميز مع الايتام فقد روى الشيخ الكليني في الكافي انه (جاء إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) عسل وتين من همدان وحلوان فأمر العرفاء أن يأتوا باليتامى، فأمكنهم من رؤوس الأزقاق يلعقونها وهو يقسمها للناس قدحاً قدحاً، فقيل له: يا أمير المؤمنين ما لهم يلعقونها؟ فقال: إن الإمام أبو اليتامى وإنما ألعقهم هذا برعاية الآباء)(١٨) وبهذا أوصى رسول الله (ﷺ) بقوله (كن لليتيم كالأب الرحيم)(١٩).

ونظر علي (عليه السلام) إلى امرأة على كتفها قربة ماء، فأخذ منها القربة فحملها إلى موضعها، وسألها عن حالها فقالت: بعث علي بن أبي طالب صاحبي إلى بعض الثغور فقتل، وترك عليّ صبياناً يتامى، وليس عندي شيء، فقد ألجأتني الضرورة إلى خدمة الناس، فانصرف وبات ليلته قلقاً، فلما أصبح حمل زنبيلاً فيه طعام، فقال بعضهم: أعطني أحمله عنك، فقال: من يحمل وزري عني يوم القيامة؟ فأتى وقرع الباب، فقالت: من هذا؟ قال: أنا ذلك العبد الذي حمل معك القربة، فافتحي فإن معي شيئاً للصبيان، فقالت: رضي الله عنك وحكم بيني وبين علي بن أبي طالب، فدخل وقال: إني أحببت اكتساب الثواب، فاختاري بين أن تعجنين وتخبزين وبين أن تعللين الصبيان لأخبز أنا، فقالت: أنا بالخبز أبصر وعليه أقدر، ولكن شأنك والصبيان، فعللهم حتى أفرغ من الخبز، قال: فعمدت إلى الدقيق فعجنته، وعمد علي (عليه السلام) إلى اللحم فطبخه، وجعل يلقم الصبيان من اللحم والتمر وغيره، فكلما ناول الصبيان من ذلك شيئاً قال له: يا بني اجعل علي بن أبي طالب في حل مما أمر في أمرك، فلما اختمر العجين قالت: يا عبدالله اسجر التنور فبادر لسجره فلما أشعله ولفح في وجهه جعل يقول: ذق يا علي هذا جزاء من ضيع الارامل واليتامى، فرأته امرأة تعرفه فقالت: ويحك هذا أمير المؤمنين، قال: فبادرت المرأة وهي تقول: واحيائي منك يا أمير المؤمنين، فقال: بل واحيائي منك يا أمة الله فيما قصرت في أمرك)(٢٠).

لنكن هكذا في رعاية الأيتام والأرامل وعموم الناس خصوصاً المحتاجين المتعففين وذوي العاهات وأمثالهم.

كفالة الأيتام المعنويين:

هذا ما يتعلق باليتيم المادي بحسب ما سمّيناه وهو المعنى المعروف لليتيم، ويوجد أيتام من نوع آخر هم أكثر عدداً يكاد يمثلون أغلب الناس، وكفالتهم لا تحتاج إلى المال، بل إلى الوعي والمعرفة والجهد والهمة والإخلاص، وكافلهم يكون أقرب إلى رسول الله (ﷺ) من الأول، تعرّفهم لنا جملة من الأحاديث الشريفة(٢١) وتبين منزلتهم (الكافلين) عند النبي (ﷺ) وأهل بيته المعصومين (عليهم السلام) منها ما روي عن الإمام أبي محمد الحسن العسكري (عليه السلام) قال: (حدثني أبي عن آبائه عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: أشد من يُتم اليتيم الذي انقطع عن أبيه يتم يتيم انقطع عن إمامه ولا يقدر على الوصول إليه ولا يدري كيف حكمه فيما يبتلى به من شرائع دينه ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا وهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره ألا فمن هداه وأرشده وعلمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى)(٢٢).

وعن أبي محمد العسكري (عليه السلام) قال: (قال الحسن بن علي (عليهما السلام): فضل كافل يتيم آل محمد المنقطع عن مواليه الناشب في رتبة الجهل يخرجه من جهله، ويوضح له ما اشتبه عليه، على فضل كافل يتيم يطعمه ويسقيه كفضل الشمس على السها)(٢٣).

وعنه (عليه السلام) قال: (قال الحسين بن علي (عليهما السلام): من كفل لنا يتيماً قطعته عنا محبتنا(٢٤) باستتارنا فواساه من علومنا التي سقطت إليه حتى أرشده وهداه، قال الله عز وجل: يا أيها العبد الكريم المواسي أنا أولى بالكرم منك، اجعلوا له يا ملائكتي في الجنان بعدد كل حرف علمه ألف

التتمة في الصفحة الرابعة

تتمة كافل اليتيم المادي والمعنوي مع رسول الله (ﷺ)

ألف قصر، وضموا إليها ما يليق بها من سائر النعم).

وعنه (عليه السلام) قال: (قال موسى بن جعفر (عليهما السلام): فقيه واحد ينقذ يتيماً من أيتامنا المنقطعين عنا وعن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه أشد على إبليس من ألف عابد، لأن العابد همّه ذات نفسه فقط، وهذا همّه مع ذات نفسه ذات عباد الله وإمائه لينقذهم من يد إبليس ومردته، فذلك هو أفضل عند الله من ألف ألف عابد، وألف ألف عابدة).

وعنه (عليه السلام) قال: (قال علي بن موسى الرضا (عليهما السلام): يقال للعابد يوم القيامة: نعم الرجل كنت همتك ذات نفسك وكفيت الناس مؤونتك فادخل الجنة، ألا إن الفقيه من أفاض على الناس خيره، وأنقذهم من أعدائهم، ووفّر عليهم نعم جنان الله وحصّل لهم رضوان الله تعالى. ويقال للفقيه: يا أيها الكافل لأيتام آل محمد الهادي لضعفاء محبيه ومواليه قف حتى تشفع لمن أخذ عنك، أو تعلّم منك فيقف فيدخل الجنة معه فئاماً وفئاماً(٢٥) حتى قال عشرة).

وعنه (عليه السلام) قال: (قال محمد بن علي الجواد (عليهما السلام): من تكفل بأيتام آل محمد المنقطعين عن إمامهم المتحيرين في جهلهم، الأسراء في أيدي شياطينهم، وفي أيدي النواصب من أعدائنا فاستنقذهم منهم، وأخرجهم من حيرتهم، وقهر الشياطين برد وساوسهم، وقهر الناصبين بحجج ربهم ودليل أئمتهم ليُفضلون عند الله تعالى على العباد بأفضل المواقع بأكثر من فضل السماء على الأرض والعرش والكرسي والحجب على السماء، وفضلهم على هذا العابد كفضل القمر ليلة البدر على أخفى كوكب في السماء).

الزهراء (عليها السلام) تكفل الأيتام:

وقد كانت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تحذو حذو أبيها (ﷺ) في أقواله وأفعاله وخصاله الكريمة وهديه وسمته، فقد أدت ما عليها ووفت بما عاهدت ربها عليه من الالتزامات فنجحت في الامتحان بأعلى درجات النجاح.

الأيتام بكلا النوعين:

ومن موارد صدقها فيما امتُحنت به كفالة الأيتام بالمستويين اللذين ذكرناهما.

أما الأول فقد شهد الله تبارك وتعالى لها ولزوجها أمير المؤمنين وولديها الحسن والحسين (صلوات الله عليهم) في القرآن الكريم بإطعامهم اليتيم مع حاجتهم للطعام حباً لله تبارك وتعالى وإخلاصاً لوجهه الكريم ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً﴾ [الإنسان: ٨-٩].

ونقرأ في سيرتها (صلوات الله عليها) أنها طحنت بالرحى حتى مجلت يداها وأشعلت التنور حتى دكنت ثيابها وما ذلك لإطعام زوجها وبنيها لأنهم خمص البطون، وإنما كانوا يكتفون من الطعام بما يسد رمقهم، وإنما كان لكثرة من تطعمهم وتتكفل بهم كما تشهد به روايات أخر، ولم تغب عنها الوصية بالأيتام وهي تودع الحياة الدنيا، روي أنه جاء في وصيتها (عليها السلام) لأمير المؤمنين (عليه السلام) بالحسن والحسين (عليهما السلام): (يا أبا الحسن ولا تصح في وجههما فإنهما سيصبحان يتيمين من بعدي، بالأمس فقدا جدهما واليوم يفقدان أمهما)(٢٦).

وأما على المستوى الثاني لكفالة الأيتام فقد كانت لها حركة دؤوبة وهمة لا تعرف التواني والتقصير، روي عن الإمام أبي محمد العسكري (عليه السلام) أنه قال: (حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام) فقالت: إن لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك، فأجابتها فاطمة (عليها السلام) عن ذلك، فثنت فأجابت ثم ثلثت إلى أن عشرت فأجابت ثم خجلت من الكثرة فقالت: لا أشق عليك يا ابنة رسول الله (ﷺ)، قالت فاطمة (عليها السلام): هاتي وسلي عما بدا لك، أرأيت من اكترى يوماً يصعد إلى سطح بحمل ثقيل وكراه مائة ألف دينار يثقل عليه؟ فقالت: لا. فقالت: اكتريت أنا لكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً فأحرى أن لا يثقل علي، سمعت أبي (ﷺ) يقول: إن علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدهم في إرشاد عباد الله حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف حلة من نور ثم ينادي منادي ربنا عز وجل: أيها الكافلون لأيتام آل محمد (ﷺ)، الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم، هؤلاء تلامذتكم والأيتام الذين كفلتموهم ونعشتموهم فاخلعوا عليهم خلع العلوم في الدنيا فيخلعون على كل واحد من أولئك الأيتام على قدر ما أخذوا عنهم من العلوم حتى أن فيهم يعني في الأيتام لمن يخلع عليه مائة ألف خلعة وكذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلم منهم، ثم إن الله تعالى يقول: أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتى تتموا لهم خلعهم، وتضعفوها لهم فيتم لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم، ويضاعف لهم، وكذلك من بليهم ممن خلع على من يليهم. وقالت فاطمة (عليها السلام): يا أمة الله إن سلكة من تلك الخلع لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف ألف مرة وما فضل فإنه مشوب بالتنغيص والكدر)(٢٧).

وروي عنه (عليه السلام) قال: (قال علي بن أبي طالب (عليه السلام): من قوّى مسكيناً في دينه ضعيفاً في معرفته على ناصب مخالف فأفحمه لقنه الله يوم يُدلى في قبره أن يقول: الله ربي، ومحمد نبيي، وعلي وليي، والكعبة قبلتي، والقرآن بهجتي وعدّتي، والمؤمنون إخواني. فيقول الله: أدليت بالحجة فوجبت لك أعالي درجات الجنة فعند ذلك يتحول عليه قبره أنزه رياض الجنة)(٢٨).

وان حديث النبي (ﷺ): (أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة) يجري في هذه الكفالة أيضاً وقد شهد الامام الصادق (عليه السلام) بذلك للراوي الجليل بكير بن أعين فأنه لما بلغ الامام (عليه السلام) موته قال (أما والله لقد أنزله الله بين رسوله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما)(٢٩).

وقال (عليه السلام) في أخيه حمران (نعم الشفيع أنا وآبائي لحمران بن أعين يوم القيامة، نأخذ بيده ولا نزايله حتى ندخل الجنة جميعا)(٣٠).

مسؤوليتنا عن كفالة كلا النوعين من الأيتام:

أيها الأخوة والأخوات: لنعمل بهذه الأحاديث الشريفة حتى نكون مع الرسول الكريم (صلوات الله عليه وآله) في درجته في الجنة بكفالة كلا النوعين من الأيتام. فبلدنا اليوم يعج بمئات الآلاف من الأيتام بسبب ما تعرض له من جرائم القتل والبطش والحروب والمقابر الجماعية في عهد صدام ولجرائم القتل المنظم والإرهاب والفوضى المجتمعية والقتل العشوائي في عهد الاحتلال، وهؤلاء الأيتام في الوقت الذي يشكلون فيه مسؤولية على الأمة جميعاً تقتضي احتضانهم ورعايتهم وتربيتهم، وإلا تحولوا إلى جيل كامل من المجرمين والقتلة والمرضى النفسيين والمنحرفين أخلاقياً والحاقدين على المجتمع، في الوقت نفسه هم يمثلون فرصة عظيمة للطاعة امتثالاً للتوجيهات النبوية الشريفة المتقدمة.

أما النوع الثاني من اليتيم فهو صفة أكثر الناس فإنهم بين جاهل بالشريعة لا يعرف حتى الأحكام الأساسية التي يبتلى بها يومياً كالوضوء والصلاة والغسل وبعض المعاملات، وبين مفتون قد اضطربت في ذهنه الأفكار وعصفت به الضلالات، وبين متورط في المعاصي بسبب غفلته وعدم وجود من يعظه ويذكره بالله تعالى، وبين إمّعةٍ ينعقون مع كل ناعق ـ كما وصفهم الحديث الشريف ـ وبين ضعيف أو مستضعف يحتاج إلى من يقوي فيه عقائده ويشدّ إيمانه، ولعلكم تعرفون أكثر مني مصاديق ذلك من خلال احتكاككم بالناس واطلاعكم على البيئة التي تعيشون فيها، ولعل بعضكم اطلع على الكثير مما ذكرت من خلال التجمعات الكبيرة التي تحصل في بعض المناسبات الاجتماعية والدينية وغيرها.

فأمامكم فرصة واسعة لنيل القرب من رسول الله (ﷺ) برعاية الأيتام من النوع الأول وكفالتهم بالمساعدات المالية ورعايتهم وتربيتهم وإنشاء مؤسسات الحضانة والتعليم والترفيه لهم ونحوها، وقد أذنت المرجعية بصرف الحقوق الشرعية لكفالة الأيتام.

والفرصة الأوسع التي أمامكم هي كفالة الأيتام من النوع الثاني وهي متاحة للجميع إذ ما من أحد منا إلا ويعرف مسألة شرعية أو حديثاً شريفاً أو نصيحة مفيدة فلننظّم جميعاً حملة واسعة نقوم خلالها بتعليم الناس كلمة مفيدة أو موعظة تسمعونها أو مسألة شرعية تتعلمونها أو عمل صالح تهتدون إليه، أو نصيحة ترشدهم وتصحح أخطاءهم وغيرها كثير.

فلا تبخلوا بكل ذلك على الناس سواء داخل الأسرة أو لزملائكم في العمل أو المنطقة أو رفاقكم في السفر، وانقلوها لأكبر عدد منهم لتزداد أجركم وتحظون برضا الله تبارك وتعالى والمنزلة الرفيعة عند رسول الله (ﷺ) وأمير المؤمنين (عليه السلام) والصديقة الطاهرة الزهراء (صلوات الله عليها)، فهذه الوظيفة ليست حكراً على الحوزة العلمية ونحوها بل هي مسؤولية كل من تعلم ولو مسألة واحدة وأنتم شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) فاحفظوا وصيته بالأيتام عند وفاته (صلوات الله عليه) وقد رويت في الكافي بسند صحيح ومما جاء فيها: (الله الله في الأيتام؛ فلا تغبّوا (٣١) أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم، فقد سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: من عال يتيماً حتى يستغني أوجب الله عز وجل له بذلك الجنة كما أوجب الله لأكل مال اليتيم النار)(٣٢).

---

(١) كلمة لسماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) ألقيت يوم السبت ٢٩ صفر الخير ١٤٤٢ الموافق ١٧ / ١٠ / ٢٠٢٠ (٢) وسائل الشيعة: ١ /٤٥ أبواب مقدمات العبادات، باب ٤ ح ٩

(٣) تفسير نور الثقلين: ٥ /٣٥٨ سورة الضحى ح ١٣ (٤) معاني الاخبار: ٥٢ ح ٤ (٥) تفسير نور الثقلين : ٥ /٣٥٨ ح ١٧ (٦) بحار الأنوار: ٧٥ /٤ ح ٧ عن امالي الطوسي: ٣٨٤، الرقم ٨٣٣

(٧) بحار الأنوار: ٧٥ /٤ ح ٨ (٨) كنز العمال: ٦٠٠٨ (٩) مجمع البيان: ١٠ /٢١٤ (١٠) بحار الأنوار: ٤ /٧٥ عن قرب الإسناد بسند مقبول (١١) تفسير نور الثقلين: ٥ /٥٩٧

(١٢) تفسير مجمع البيان: ١٠ / ٢١٤ (١٣) بحار النوار: ٧٥ /٤ ح ٩ (١٤) ميزان الحكمة: ٩/٦١٤ (١٥) علل الشرائع: ٤٨٠ ح ١ (١٦) وسائل الشيعة: ٩ /٤٨٣ أبواب ما يجب فيه الخمس، باب ١ ح ١

(١٧) بحار الأنوار: ج ٧٧ / ١٨١ص (١٨) الكافي: ١ /٤٠٦، بحار الأنوار: ٤١ /١٢٣ ح ٣ (١٩) بحار الأنوار: ٧٧ /١٧١ ح ٧ (٢٠) بحار الأنوار: ٤١ /٥٢ ح ٣ عن مناقب ابن شهرآشوب: ٢ /١١٤

(٢١) هذه المجموعة من الأحاديث أثبتها العلامة المجلسي (قدس سره) في بحار الأنوار: ٢/ ٢-٦ في الباب ٨ من كتاب العقل والعلم والجهل، أبواب العقل والجهل، عن التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام) وكتاب الاحتجاج للطبرسي.

(٢٢) الأحاديث من بحار الأنوار الباب المذكور على التسلسل: ١، ٤، ٥، ٩، ١٠، ١١. (٢٣) السها في لغة العرب كوكب صغير خفي الضوء، والناس يمتحنون به أبصارهم لصغره وخفائه.

(٢٤) أي كان سبب انقطاعه عنا رغبتنا في الاستتار رعاية الحكمة إلهية عظمى. وفي نسخة (محنتنا) وهو أظهر. (٢٥) فئام: الجماعات الكبيرة من الناس، وطبقت في بعض الموارد ـ كيوم الغدير ـ على مئة ألف.

(٢٦) بحار الأنوار: ٤٣ /١٧٨ (٢٧) بحار الأنوار: ٤٣ /١٧٨ ح ٣ (٢٨) بحار الأنوار: ٤٣ /١٧٨ ح ١٤ (٢٩) معجم رجال الحديث: ٤ /٢٦٦ (٣٠) معجم رجال الحديث: ٧ /٢٧٢

(٣١) أي تعطوهم حيناً وتقطعوهم حيناً آخر. (٣٢) الكافي: ٧ /٥١-٥٢ باب صدقات النبي (ﷺ) وفاطمة والأئمة (عليهم السلام) ووصاياهم، ح ٧

يمكنكم إرسال إستفتاءاتكم على عنوان مكتب المرجع الديني سماحة الشيخ محمد الي
العراق / النجف الأشرف / نهاية شارع الرسول (ﷺ) أو على عنوان البريد الألكتروني : .com
موقعنا على الأنترنت : www.yaqoobi.com

جميع الحقوق محفوظة لموقع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي